شهرية السينما

مسيو فردو (اتحاد الممثلين) (١)

كان إنتاج شارلز شابلن يحتل دائما مكانا بارزاً بين الانتاج الأمريكى عامة . وكان شابلن نفسه لا يضحك الناس ليسليهم فحسب كما كان يفعل المضحكون من معاصريه مثل هارولد لويد وبستر كيتون، بل كان يضحكهم ليظهر لهم آفات المجتمع الذى يعيشون فيه . فهو حين اتخذ هذه القبعة الزرية ، وهذا السروال الواسع البالى ، وهذه السترة الضيقة القصيرة ، وحين أخذ يسير فى الطرقات بهذه الخطوات المضحكة العجيبة ، كان يريد أن يمثل الفرد حين يصبح ضحية المجتمع سواء أكان هذا الفرد عاملا أم مفامرا . فكأن وراء تهريج شابلن الظاهرى فلسفة عميقة يستنبطها اللبيب من الشهود ويغفل عنها من جاء ليمضى ثلاث ساعات طيبة.

ثم فجأة ترك شارلى هذه القبعة وهذه السترة وهذا السروال وأنتج فيلم «الدكتاتور» . وما كاد هذا الفنان يترك زيه المعتاد حتى فقد إنتاجه ما كان له من قيمة . ففيلم « الدكتاتور » لم يكن إلا دعاية رخيصة بوساطة تهريج رخيص . ثم انقطع شابلن عن الانتاج فترة أعد فيها فيلمه الجديد « مسيو فردو » وراجت الشائعات حول هذا الفيلم : فمن قائل إن شارلز شابلن قد ترك فيه شخصية الشارد ليمثل دور رجل من البرجوازية الفرنسية ؛ ومن قائل إنه قد ابتكر فنا جديدا فى عرض حوادثه . وما كاد يعرض الفيلم فى أمريكا حتى هوجم منتجه واتهم بالشيوعية المتطرفة . والفيلم ليس ذا شأن لكى يهاجم منتجه ، والآراء الذى يعرضها فيه ليست بهذا العمق الذى يجعل الناس يخشون تأثيرها . فهى من ذلك النوع الرخيص التافه الذى يعرض ليثير دهشة عامة الناس وإعجابهم ، وسخط من يدرك تفاهتها وازدراءه . وقد استمد شابلن قصته من حياة لاندرو القاتل الفرنسى . فمسيو فردو ما هو إلا قاتل للنساء دفعه النظام الاجتماعى إلى الجريمة ليدافع عن نفسه وعن أسرته المكونة من امرأة متقاعدة وطفل صغير . لقد خدم مسيو فردو ذلك المجتمع الذى لفظه خمسا وثلاثين سنة أمضاها يعد نقود غيره فى أحد المصارف . و يمضى هذا القاتل الصغير فى جرائمه حتى يقبض عليه رجال الشرطة ويقدمونه للمحاكمة . ولنستمع إلى دفاع هذا المجرم : « ألم يشجع العالم ذلك الذى يقتل بالجملة ؟ إننى بالنسبة إلى هؤلاء لا أعد إلا هاويا ... فقتل شخص واحد يجعل من القاتل مجرما خطيرا ، وقتل الملايين يجعل من القاتل بطلا ؛ فكأن العدد يحيطه بالقداسة . » نعم ! إن هذا الدفاع منطقى ظاهريا . ولكن هل ثمة وجه للمقارنة بين من يدفع عن بلاده طمع العدو ومن يدفع عن نفسه اعتداء المجتمع ؟ و إن كان شارلز شابلن

---

(١) Monsieur Verdoux *(United Artists)*

يريد بهذا الدفاع أن يظهر عدم رضاه عن الحروب. فهل نجح بشخصية مسيو فردو أن يجعلنا نشمئز من الجريمة سواء ارتكبها فرد أو أمة ؟ إن شخصية مسيو فردو تجعلك فى حيرة أى حيرة ؛ فأنت بين مشمئز منه وعاطف عليه ؛ فأنت مشمئز منه لأنه رجل آثم ، وأنت تعطف عليه لأنه مهرج لطيف يستأثر بك كل الاستئثار . ولكنك لا ترضى عنه بعد كل شئ ؛ لأنه مجرم لا يدفعه إلى الجريمة سبب قوى ، وليس له عذر مقبول ، ولأن فلسفته سطحية لا تقنعك بتصرفاته . أنظر إلى نهاية الفيلم حين يذهب القس لمقابلته فى السجن . إن شارلز شابلن يعرض هنا آراء تذكرك بآراء الصيدلى مسيو هومى فى قصة « مدام بوفارى » لتفاهتها . يقول للقس إنه لا يعنى بروحه لأنها ملك الله والله وحده يتصرف فيها كيفما شاء، وإن لولا وجود الشرما كان ثمة داع للقسس . أبهذا اللغو يريد شابلن أن يستأثر بالعالم وأن يصلح المجتمع بهدم النظام الرأسمالى ؟

ومع أن شارلز شابلن أخرج فيلمه فى السنتين الأخيرتين ورغم تطور صناعة السينما السريع فأنت تشعر حين تشهد « مسيو فردو » أنك تشهد فيلما أخرج فى أول عهد السينما . فطريقة العرض أولية ، والتصوير أولى أيضا . فالصورة لا تسجل من الشخصيات إلا من يتحدث فقط ، وقد يكون تسجيل صورة من يستمع إلى الحديث أكبر خطرا من تصوير المتحدث وحده . أما عن جو الفيلم الذى أراد شابلن أن يكون فرنسيا فهو بعيد كل البعد عن الجو الفرنسى . فالناس فى شوارع باريس لا يتخطرون كما حدث فى الفيلم ، والمنازل البرجوازية الفرنسية تختلف كل الاختلاف عن المنازل الفرنسية التى صورها شابلن فى اخراجه .

ولم نلمس عند شابلن ممثلا أى تطور فى فن الأداء . فمن رأى أفلامه السابقة ولمس النواحى المختلفة لهذا الفن لا يجد فى أداء شخصية مسيو فردو أى تجديد . فمادة الضحك يستمدها من حركاته الآلية كما كان يفعل فى أفلامه السابقة .

ولولا أن فيلم « مسيو فردو » أخرج فى أمريكا ، ولولا أن منتجه وممثله هو شارلز شابلن ، ما صادف هذا الفيلم رواجا ولا أصاب نجاحا كما حدث حين عرض فى القاهرة . فتهافت الجمهور على شهوده ورضاهم عنه لا يعودان إلى جودة الانتاج ، وإنما يعودان إلى ما للانتاج الأمريكى ولاسم ممثل شهير مثل شابلن من تأثير فى الجمهور .

الفتى (مترو جلدوين ماير) (١)

لا أتحدث عن هذا الفيلم فى مقالى هذا إلا لطرافة موضوعه ويسره وهدوئه . فقصة «الفتى» هى من هذه القصص التى تخلو من التعقيد الذى أسرف فيه الأمريكيون فى أفلامهم ، ومن عوامل التأثير المصطنعة التى يلجأ اليها المخرج لينال رضا جمهوره ، ومن هذا العنف الذى تسوقه الينا أفلام هوليوود حين تعرض لنا حياة الريف الأمريكى فى القرن التاسع عشر . فهذه القصة هى عرض بسيط لحياة أسرة أمريكية فى القرن

(١) The Yearling *(Metro Goldwyn Mayer)*

الماضى لا مرمى لها إلا الكفاح لتستغل الأرض وتيسر لنفسها حياة رغدة . وقد يبدو للبعض أن قصة تخلو من الحوادث المثيرة أو من العنف لا تصيب عند الجمهور إلا الملل ، ولكن هذه القصة باخراجها اليسير الواقعى ، وبالمناظر الجميلة التى كان يعرضها الفيلم ، وبأداء الممثلين عامة قد أصابت قسطاً وفيراً من التوفيق والنجاح .

أمريكى فى اجازة (فيلم لوكس) (١)

هذا الفيلم الايطالى يمكن أن يعد مثالا للقصد فى التعبير. وأقصد بالتعبير الاخراج والتمثيل وحوادث القصة . فالاخراج هو وسيلة للتعبير عن جو القصة وظروفها ، والتمثيل وسيلة للتعبير عن شخصياتها ، والحوادث وسيلة للتعبير عن شعور تلك الشخصيات . ويمكننى أن أضيف أن ثمة ناحية فى هذا الفيلم امتازت بالقصد وهى الدعاية . فأنت حين تشهد هذا الفيلم يدهشك هذا الذوق فى اختيار المواقف ، وهذا الفن المقتصد فى الأداء والتمثيل ، ووسائل الدعاية فيه.

والقصة غرامية تدور حوادثها فى روما حيث يتقابل شاب أمريكى وفتاة من ريف إيطاليا، فيهيم الشاب بالفتاة هياما شديدا وتبادله هى هذا الشعور القوى ولكنها تخفيه عنه. وهو يلاحظها فى كل مكان ولكن الفتاة تتمنع وتهرب من المدينة إلى ريفها الهادئ . ولكن الأمريكى يأبى أن يعود إلى ميدان القتال دون أن يرى محبوبته ليسلمها مذكراته عن المدة التى تضياها معا فى روما ، ثم يتركها ليواصل سفره بعد أن وعدها باللحاق بها إن عاد حيا من المعركة . وكل هذه الحوادث تسير فى هدوء تام لا يشوبها أى عنف أو أية مغالاة ، وخاصة فى المنظر الأخير حين يتقابل الشابان لآخر مرة فلا صراخ ولا عويل عند الفراق ولا حتى هذه القبلة التى يحرص الأمريكيون أن يختتموا بها أفلامهم . وكان أداء الممثلين لا يختلف عن طابع القصة فى هدوئه وقصده . فكل منهم وخاصة فالنتينا كورتيزيه التى امتازت بتمثيل فائق وقوة تعبير خارقة قد اصطنع القصد والأناة فى إخراج شخصياتهم . وكان المصور أيضاً على حظ كبير من التوفيق فيما سجل من صور جميلة بين آثار روما ، فأسبغ على الفيلم جمالا فنيا محمودا .

وإن كان هذا الفيلم يمتاز بكل هذه الصفات التى تحدثت عنها ، فلست أرمى إلى أن أجعله فى المرتبة الأولى بين الأفلام الايطالية ، إنما أردت أن ألتزم الأمانة فى حديثى ، فلا أغفل هذه الميزات التى مع كثرتها لا تجعله إلا إنتاجاً حسناً فحسب .

رشدى كامل

---

(١) Un Americano in Vacanza (Lux Film)